

أرواح خطفتها «إشارة الموت»..

حكايات موجعة من ذاكرة المعامير



○ صورة نادرة لحادث بليغ وقع بالقرب من شركة نفط البحرين بابكو في نهاية الخمسينيات او مطلع الستينيات.

تقرير: نوال عباس

تصوير: محمد عبدالله

ليست كل الإشارات مجرد أضواء حمراء وخضراء تنظم حركة السيارات، فهناك إشارات تتحول مع مرور السنوات إلى ذاكرة مثقلة بالحكايات، تحمل في كل زاوية منها قصة إنسان، وأسرة، وحادث غير حياة أو أنهى حياة.

في إشارات المعامير، تتراكم الحكايات منذ سنوات؛ أطفال كانوا في طريق عودتهم إلى منازلهم، وشباب كانوا يعبرون الطريق، وأشخاص كانوا في طريقهم إلى أعمالهم أو مناسباتهم، قبل أن تتحول لحظات عابرة على الطريق إلى فاجعة. قصص انتهى بعضها بالموت، فيما خلف بعضها الآخر إصابات وإعاقات وآثاراً لا تزال حاضرة في

أجساد أصحابها، بينما اختار آخرون الصمت، وواصلوا حياتهم من دون الحديث عما تعرضوا له. ومع تكرار الحوادث وتجدد مطالب الأهالي بإيجاد معالجة أكثر أماناً للموقع، تعود «إشارة الموت» إلى الواجهة، وإنما باعتبارها جزءاً من ذاكرة أهالي المعامير والعكر، الذين عاشوا على مدى سنوات قصصاً مؤلمة ارتبطت بهذا المكان.

وللوقوف على جانب من تاريخ هذه الحوادث، تستعيد «أخبار الخليج» روايات أبناء المنطقة ممن عاشوا تلك الوقائع وتابعوا آثارها. ومن بينهم ابن قرية المعامير وباحث التاريخ والتراث جاسم آل عباس، الذي يروي قصصاً بقيت عالقة في ذاكرة الأهالي، بعضها يعود إلى عقود مضت، وبعضها لا يزال حاضراً حتى اليوم.

طفلة.. عادات بشهادة التفوق ولم تصل إلى منزلها

فرحة فتاة تحولت إلى مآتم عند الإشارة ‹ شاحنة الحديد.. اللحظات الأخيرة أمام أعين الأهالي



○ أهالي المعامير يتطلعون إلى تطوير هذا الشارع.

ضحايا صامتون.. أجساد تحمل ذاكرة الحوادث



الطفلة المتفوقة



سائق الشاحنة

○ صور تعبيرية بالذكاء الاصطناعي.

إشارات المعامير بالنسبة إلى الأهالي مجرد نقطة ممرورية، بل أصبحت جزءاً من ذاكرة المنطقة؛ ذاكرة تحمل قصص أطفال وشباب وأسر، بعضها انتهى بالفقد، وبعضها لا يزال يعيش تبعاته حتى اليوم.

ومن شهادة تفوق بقيت بجوار طفلة رحلت، إلى شاحنة حديد شهده الأهالي تفاصيل مأساة سائقها، وصولاً إلى مصابين لا يزالون يحملون آثار الحوادث، وشابين تنتظر أسرتهما الفرج.. تتكرر الحكاية عند المكان نفسه.

ويبقى مطلب الأهالي واضحاً: أن تتوقف الحكايات عند هذا الحد، وألا تضيف الإشارة اسماً جديداً إلى ذاكرة الفقد والألم.

المطالب اليوم بحل أكثر فاعلية.

من الإشارات إلى

الجسر أو النفق

ومع مشروع تطوير الطريق الممتد من جهة ستره باتجاه منطقة النويدرات، يترقب الأهالي أن تتضمن المعالجة الجديدة حلاً أكثر أماناً للموقع.

وبحسب ما يطرّحه الأهالي، فإن المطلوب لا يقتصر على تطوير الطريق، وإنما معالجة نقطة التقاطع نفسها، سواء من خلال جسر أو نفق أو أي حل هندسي يحد من مخاطر الحوادث ويحمي مستخدمي الطريق والمشاة.

ذاكرة لا تريد حادثاً جديداً بعد سنوات من الحوادث، لم تعد

وتعيد هذه الحوادث الحديثة فتح ملف الإشارة من جديد، وتطرح السؤال ذاته الذي ظل الأهالي يطرحونه منذ سنوات: هل يمكن أن يكون هناك حل أكثر أماناً يمنع تكرار هذه القصص؟

مطالب عمرها سنوات

يؤكد الباحث جاسم آل عباس أن قضية إشارات المعامير ليست جديدة على الأهالي، مشيراً إلى أن والده وجدّه كانا من المتابعين لشؤون المنطقة، وأن المطالبة بمعالجة مشكلة الإشارات تعود إلى سنوات طويلة.

ويشير إلى أن الاستجابة السابقة لمطالب الأهالي وإنشاء الإشارات كانت في وقتها إنجازاً مهماً بالنسبة إلى المنطقة، إلا أن الحوادث استمرت، لتتجدد

مضت، فإن الألم لا يزال يتجدد مع حوادث جديدة.

فمنذ نحو عامين، تغيرت حياة شاب في مقتبل العمر بعد حادث مروري وقع عند الإشارة نفسها، نقل على أثره إلى العناية المركزة، لتبدأ بعدها رحلة طويلة مع العلاج والتنقل بين المراكز الطبية.

ومنذ ذلك الحين، تواصل أسرته متابعة علاجه، فيما لا يزال حلمها أن يستعيد عافيته ويعود إلى حياته الطبيعية، ويلتحق بالجامعة التي كانت تمنى أن تراه بين مقاعدها.

حلم الجامعة ينتظر عودته

لم تتوقف الأسرة عن متابعة علاجه طوال هذه السنوات، ولا تزال تنتظر اليوم الذي يستطيع فيه استعادة جزء من حياته التي تغيرت بعد الحادث. فخلف كل مصاب أسرة تعيش معه تفاصيل العلاج والانتظار، وتحاول أن تتمسك بالأمل رغم طول الطريق.

المأساة تتكرر بعد عامين

وبعد نحو عامين، تكررت المأساة عند الإشارة نفسها، لكن هذه المرة مع شاب لم يتجاوز نحو 17 عاماً.

تعرض الشاب لحادث مروري ونقل إلى العناية المركزة، ولا تزال أسرته تعيش ساعات وأياماً ثقيلة وهي تنتظر خبراً يطمئنها على حالته.

حكايتان يفصل بينهما

الزمن.. وتجمعهما الإشارة حالتان يفصل بينهما نحو عامين، لكن تجمعهما الإشارة نفسها، وأسرتان تحمّلان أملاً واحداً: أن يعود أبنائهما سالمين، وأن تكون النهاية فرجاً بعد هذا الألم الطويل.

كانت الأسرة في طريقها إلى مناسبة يفترض أن تحمل الفرح، لكن الحادث قلب المشهد بالكامل، وحول المناسبة إلى مأساة عائلية.

وتبقى مثل هذه الحوادث حاضرة في ذاكرة الأهالي، لأنها لا تنتهي عند لحظة الوفاة، وإنما تترك أثراً يمتد إلى الأسرة والمجتمع بأكمله.

محاولة إنقاذ

انتهت بفاجعة

ومن أكثر الحوادث التي يتذكرها جاسم، حادث وقع في فترة التسعينيات لسائق أسبوي كان يقود شاحنة حملة بقطع حديد، متجهاً من جهة ستره إلى جهة الرفاع.

وعند وصوله إلى إشارات المعامير فوجئ بالإشارة الحمراء، ومع محاولة التوقف اندفعت الحمولة الثقيلة إلى الأمام، ما أدى إلى محاصرة السائق داخل مقصورة القيادة.

ويقول جاسم إن السائق ظل واعياً في تلك اللحظات، بينما تجمع الأهالي في المكان، ووصلت فرق الدفاع المدني والرافعات لمحاولة إنقاذه.

كانت عملية التعامل مع الحمولة الثقيلة بالغة الصعوبة، وبحسب رواية جاسم، تعرض أحد أسلاك الرفع للانقطاع أثناء محاولة إزالة الحديد، فعدت الحمولة وسقطت على السائق، ليفارق الحياة.

ويصف جاسم المشهد بأنه من أكثر الحوادث التي تركزت أثراً في نفوس الأهالي، بعدما تجمع عدد كبير من أبناء المعامير والعكر لمتابعة عملية الإنقاذ. كان المشهد أمام أعين المارة والأهالي، وبقيت تفاصيله حاضرة في ذاكرة من عاشوا تلك اللحظات.

ضحايا صامتون

ولا تتوقف الحكايات عند الضحايا الذين عُرفت قصصهم، إذ يشير جاسم إلى وجود أشخاص آخرين تعرضوا لحوادث في الشارع نفسه، لكنهم لا يرغبون في الكشف عن أسمائهم أو الحديث عما تعرضوا له.

ومن بينهم أشخاص أصبجوا بمشون بجرع نتيجة إصابات قديمة، وآخرون يحملون آثار جروح في وجوههم.

لا أسماء.. لكن

آثارهم ظاهرة

ويواصل الباحث جاسم: «إن تتبع بعض الحالات يكشف أن أصحابها تعرضوا لحوادث عند الطريق نفسه، إلا أنهم اختاروا الصمت والاستمرار في حياتهم بعيداً عن الحديث عن تفاصيل ما حدث».

ويظل هؤلاء، بحسب الأهالي، جزءاً من قصة المكان، حتى وإن لم تظهر أسماؤهم أو تفاصيل إصاباتهم للعلن. وبينما تعود بعض الحوادث إلى عقود

حوادث وحكايات ناس يستعيد جاسم آل عباس عدداً من الحوادث التي وقعت عند إشارات المعامير، مؤكداً أن ما بقي في ذاكرة الأهالي ليست أرقام الحوادث، وإنما قصص الأشخاص الذين كانوا ضحايا لها.

ويقول إن بعض هذه القصص تعود إلى سنوات طويلة، فيما لا يزال عددٌ من المصابين يعيشون آثار حوادث تعرضوا لها عند الطريق نفسه.

ويشير إلى أن بعض الأشخاص الذين تعرضوا للحوادث لا يرغبون في الحديث عنها أو الكشف عن أسمائهم، وهو أمر يفهمه الأهالي، خصوصاً عندما تكون الإصابة قد تركت أثراً دائماً في حياة الإنسان.

ويرى الأهالي أن مثل هذه القصص لا تظهر دائماً في سجلات الحوادث، لأن آثارها تمتد إلى ما بعد انتهاء الحادث، لتصل إلى حياة المصاب وأسرته ومستقبله.

فاجعة المتفوقة

ومن أكثر الحوادث التي تركت أثراً في نفوس الأهالي، حادثة طفلة في الثامنة أو التاسعة من عمرها، وقعت خلال فترة التسعينيات.

كانت الطفلة قد تسلمت شهادتها الدراسية، وكانت من المتفوقات، وحملت شهادتها وهي في طريق العودة إلى منزلها.

وعند عبورها من جهة إشارات المعامير، صدمتها سيارة، لتفارق الحياة في موقع الحادث.

ويقول جاسم إن ما جعل الفاجعة أكثر ألماً أن شهادة التفوق التي كانت الطفلة تحملها بقيت بالقرب منها، في مشهد لا يزال عالقاً في ذاكرة من عاشوا الحادث.

لم تكن الفاجعة في فقدان طفلة في عمر صغير فقط، وإنما في المفارقة المؤلمة التي بقيت في ذاكرة الأهالي؛ طفلة كانت عادةً من يوم دراسي وهي تحمل ثمرة تفوقها، قبل أن تنتهي رحلتها عند الإشارة.

ويؤكد جاسم أن هذه الحادثة من الوقائع التي لا تزال تذكر كلما عاد الحديث عن حوادث إشارات المعامير.

فرحة تحولت إلى مآتم

ومن بين القصص التي لا تزال تذكر في المنطقة، حادثة فتاة كانت برفقة أفراد من أسرتها في طريقهم إلى مناسبة اجتماعية في المعامير.

وعند مرورهم بالإشارة تعرضت الفتاة لحادث أدى إلى وفاتها.

كانت في مقتبل العمر وقرينة من سن الزواج، فتحوّل المناسبة التي كانت الأسرة تستعد لها إلى مآتم، وبقيت الحادثة واحدة من الفواجع التي يستعيدوها الأهالي كلما تحدثوا عن خطورة الإشارة.

بعد عامين.. المأساة تتكرر مع شاب في السابعة عشرة

من الإشارات إلى الجسر أو النفق.. ماذا ينتظر الأهالي؟!